

( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ (١٠٦) ) .  
 [ يونس : ١٠٤ - ١٠٦ ] .

( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ) الخطاب للنبي ﷺ أي : قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم فشكوا في أمرك ولم يؤمنوا بك .  
 ( إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ) أي : إن كنتم في شك من صحة ما جئكم من الدين الحنيف، الذي أوحاه الله إلي .  
 ( فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ) فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله وهي هذه الأصنام ، لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدبر شيئاً من الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضي عبادتها.  
 • وجوب البراءة من الشرك وأهله ، والبراءة من الشرك أقسام :

#### أولاً : البراءة القلبية :

وهي أن تبغض المشركين والشرك بقلبك وتكرههم وتتمنى زوالهم كبغض النصارى واليهود والهندوس .  
 وحكم هذا القسم فرض لازم ولا يمكن أن يسقط عن المسلم .  
 والدليل على ذلك حديث أبي مالك الأشجعي ( من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله تعالى ) .

#### ثانياً : براءة اللسان :

وذلك بالتصريح بأنك تبغض الكفار والتصريح أن دينهم باطل وأنهم كفار .  
 والدليل قوله تعالى : ( قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ) قل : أي بلسانك .  
 وقوله تعالى : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ) .  
 وهذا القسم واجب مع القدرة لقوله تعالى : ( فاتقوا الله ما استطعتم ) ويجب عليه الهجرة إن استطاع .

#### ثالثاً : براءة الجوارح .

وذلك بمجاهدتهم بالجوارح ، وتكسير معبوداتهم ومساجدهم وقتلهم .  
 والدليل قوله تعالى : ( يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم ) .  
 وقوله ﷺ ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... ) رواه مسلم .  
 وهذا القسم يجب مع القدرة ويسقط مع العجز .

( وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ ) أي : ولكن أعبد الله وحده لا شريك له .

الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ) وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم، ثم إليه مرجعكم .

• قال السعدي : أي هو الله الذي خلقكم ، وهو الذي يمتكم ، ثم يبعثكم ، ليجازيكم بأعمالكم ، فهو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويخضع ويسجد.

• قال الحازن : والحكمة في وصف الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذه الصفة :

أن المراد أن الذي يستحق العبادة أعبدته أنا وأنتم هو الذي خلقكم أولاً ولم تكونوا شيئاً ثم يمتكم ثانياً ثم يحييكم بعد الموت ثالثاً، فاكتمى بذكر الوفاة تنبيهاً على الباقي .

وقيل : لما كان الموت أشد الأشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع .

وقيل إنهم لما استعجلوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على إهلاككم ونصري عليكم .

● **وقال ابن عطية :** ... ثم صرح بمعبوده وخص من أوصافه ( الذي يتوفاكم ) لما فيها من التذكير للموت وقرع النفوس به ، والمصير إلى الله بعده والفقد للأصنام التي كانوا يعتقدونها ضارة ونافعة .

( **وَأْمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ) يعني وأمرني ربي أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الإيمان لأنه من أعمال القلوب .

( **وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** ) أي: أخلص العبادة لله وحده حنيفاً ، أي: منحرفاً عن الشرك؛ ولهذا قال ( **وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ) وهو معطوف على قوله ( **وَأْمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ) .

والحنيف: هو المائل عن كل دين من الأديان إلى دين الإسلام.

● وخص الوجه بالذكر، لأنه أشرف الأعضاء.

والمعنى: أن الله- سبحانه- أمره بالاستقامة في الدين ، والثبات عليه، وعدم التنزل عنه بحال من الأحوال.

● **قال الألوسي :** إقامة الوجه للدين، كناية عن توجيه النفس بالكلية إلى عبادته تعالى، والإعراض عما سواه، فإن من أراد أن ينظر إلى شيء نظر استقصاء، يقيم وجهه في مقابلته، بحيث لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ، إذ لو التفت بطلت المقابلة، فلذا كنى

به عن صرف العمل بالكلية إلى الدين، فالمراد بالوجه الذات ، أي : اصرف ذاتك وكرامتك للدين .

( **وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ) تأكيد للأمر بإخلاص العبادة لله تعالى وحده وهو معطوف على **أَقِم** .

أي : استقم على ما أنت عليه من إخلاص العبادة لله تعالى وحده واثبت على ذلك، ولا تكونن من الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى .

● فلا تكونن من المشركين : لا في اعتقادهم، ولا في مجالستهم، ولا في الاجتماع بهم، فهذا أفرض الفروض عليّ ، وأوجب الواجبات.

والشرك: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

● **والْحَنَفُ:** الميل عن الضلال إلى الاستقامة، والحنيف: المائل والجنف: ضده. والأحنف: مَنْ في رجله ميل سمي بذلك تفاقولاً، وقيل مجرد الميل. قال ابن كثير: الحنيف: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد. وقد كان ذلك من إبراهيم حتى عُذَّ إمام

الحنفاء الموحدين، قال تعالى: ( **وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ) وقال: ( **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ) وهكذا فليكن أولياء الله.

● والحنيفية لها في الشرع معنيان: أحدهما: الإسلام، والثاني: خاص: وهو الإقبال على الله بالتوحيد بالميل عن ما سواه.

وهي دين الأنبياء جميعاً، وخصت بالإضافة إلى إبراهيم، لأن إبراهيم أكمل الخلق تحقيقاً لها مع تقدمه أبوةً على نبينا محمد المشارك له في كمال التحقيق للحنيفية.

وقد قال تعالى في سورة النساء ( **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** ) .

( **مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ** ) معناه أخلص دينه لله وخضع له وتوجه إليه بالعبادة ( **وَهُوَ مُحْسِنٌ** ) الإحسان هنا: الموافقة للشرعية، فيكون في الآية دليل على شرطي العبادة، وهما الإخلاص والمتابعة.

● قال ابن كثير: قوله تعالى ( **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ** ) أخلص العمل لربه عز وجل، فعمل إيماناً واحتساباً ( **وَهُوَ مُحْسِنٌ** ) أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق.

وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدوئهما، أي: يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متبعاً للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمن فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد، فمن فقد الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يراعون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين

( وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ) أي : ولا تدع من دون الله في أي وقت من الأوقات ما لا يَنْفَعُكَ إذا دعوته لدفع مكروه أو جلب محبوب ولا يَضُرُّكَ إذا تركته وأهملته ، وإنما النافع الضار هو الله .

( فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ) أي : فَإِنْ فَعَلْتَ شيئاً مما نهيك عنه فَإِنَّكَ إِذَا تكون مِنَ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بإيرادها مورد المهالك، لإشراكها مع الله تعالى آلهة أخرى.

وهذا الظلم هو الشرك ، كما قال تعالى ( إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره!!

● الظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الشرك.

وهو أعظم الظلم وأشدّه.

كما قال تعالى ( إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ).

وقال تعالى ( وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ) أي: من المشركين.

قال ابن رجب: فإن المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق ، فعبده وتألّه ، فوضع الأشياء في غير موضعها ، وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين ، إنما أريد به المشركون كما قال الله تعالى ( وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ).

والثاني: ظلم العبد نفسه بالمعاصي.

كما قال تعالى: ( ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ).

والثالث: ظلم العبد لغيره.

كما في الحديث ( قال الله تعالى: إني حرمت الظلم وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ) رواه مسلم.

وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع ( إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ) متفق عليه.

وعن ابن عمر. قال: قال ﷺ (الظلم ظلمات يوم القيامة) متفق عليه.

**الفوائد :**

١- أن النبي ﷺ عبد يؤمر وينهى .

٢- وجوب البراءة من الشرك وأهله .

٣- وجوب عبادة الله تعالى وحده .

٤- أن القادر على الإحياء والإماتة هو المستحق للعبادة .

٥- تهديد الكفار والظلمة بالموت .

٦- وجوب إقامة الدين كاملاً لله تعالى .

٧- أن التوحيد نفي وإثبات .

٨- من أعظم الصفات عدم الشرك ولذلك وصف الله إبراهيم بقول ( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّم يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ).

٩- تحريم دعاء غير الله ، وأنه شرك ، ويؤخذ من الآية من وجهين :

أحدهما : في قوله ( وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) فهذا نهي والنهي للتحريم ، والمنهي عنه إيقاع عبادة ، والعبادة لا تكون إلا لله ، فإذا جعلت لغيره كان ذلك شركاً .

والآخر : في قوله ( فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ ) أي : من المشركين ، لأن الشرك أعظم الظلم ، فمن دعا غير الله فقد وقع في فعلٍ من أفعال المشركين .

١٠- أن دعاء غير الله شرك .

١١- وجوب دعاء الله ، لأنه بيده كل شيء .

( وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ( ١٠٧ ) ) .

[ يونس : ١٠٧ ] .

-----

( وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ) كمرض وتعب وحزن .

وهذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها :

( فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ) أي : لهذا الضر إلا هو سبحانه، لأن الخلق، لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضرروا أحدا، لم يقدرُوا على شيء من ضرره، إذا لم يرده الله .

وهذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها فلا كاشف إلا هو .

( وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ) كمنحة وغنى وقوة .

( فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ) أي : فلا يستطيع أحد أن يرد هذا الخير عنك .

كما قال تعالى ( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) .

● وعبر سبحانه بالفضل مكان الخير للإرشاد إلى تفضله على عباده بأكثر مما يستحقون من خيرات .

( يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ) أي : يصيب بذلك الفضل والخير مَنْ يَشَاءُ إصابته مِنْ عِبَادِهِ .

( وَهُوَ الْغَفُورُ ) لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها .

( الرَّحِيمِ ) الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفة عين، فإذا

عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله، هو المنفرد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحداً

من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل .

الفوائد :

١- أن جلب النفع ودفع الضر من خصائص الله عز وجل .

٢- أن المستحق للعبادة هو الله .

٣- إبطال تعلق القلب بغير الله .

٤- وجوب تعلق القلب بالله تعالى .

٥- اطمئنان القلب ، فإن الإنسان إذا أيقن أن رزقه مضمون مكفول ، فإنه يطمئن ويرتاح .

٦- لا أحد يستطيع أن يرد رزق الله عن أحد .

٧- إثبات اسمين من أسماء الله وهما : الغفور ، والرحيم .

( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بُوكِيلٍ (١٠٨) ) .

[يونس : ١٠٨ ] .

-----

( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ) خطاب للرسول ﷺ أن يقول للناس .

● قال ابن عاشور : افتتاحها ب ( قل ) للتبني على أنه تبليغ عن الله تعالى فهو جدير بالتلقي .

وافتح المقول بالنداء لاستيعاب سماعهم لأهمية ما سيقال لهم ، والخطاب لجميع الناس من مؤمن وكافر ، والمقصود منه ابتداء المشركون ، ولذلك أطيل الكلام في شأنهم ، وقد ذكر معهم من اهتدى تشريفاً لهم .

● قال الشيخ ابن عثيمين : قوله تعالى ( قل ) فيه أهمية هذا الأمر الذي أمر به النبي ﷺ ، لأن كل حكم أو خبر يُصدَّر بقل

هو دليل على الاهتمام به ، لأن الله جعل له عناية خاصة بالوصية بإبلاغه ، وإلا فجميع الكتاب قال الله فيه ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ

بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) .

( قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ) يقول تعالى آمراً لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله

هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك .

قال القرطبي : قوله تعالى ( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ ) أي القرآن ، وقيل : الرسول ﷺ .

وقد قال تعالى في سورة النساء ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ) .

( قد جاءكم برهان من ربكم ) يعني محمداً ﷺ وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وإنما سماه برهاناً لما معه من المعجزات

الباهرات التي تشهد بصدقه ولأن للبرهان دليل على إقامة الحق وإيصال الباطل والنبي ﷺ كان كذلك ولأنه تعالى جعله حجة

قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق .

● وقال البغوي : قوله تعالى ( قد جاءكم برهان من ربكم ) يعني محمداً ، هذا قول أكثر المفسرين ، وقيل : هو القرآن .

وقوله تعالى ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ) أي : ضياء واضحاً على الحق .

والمراد بالنور القرآن الكريم .

● قال ابن عاشور : وأما النور المبين فهو القرآن لقوله ( وأنزلنا ) .

● قال الرازي : والنور المبين هو القرآن ، وسماه نوراً لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب .

● وقال القرطبي : النور المنزل هو القرآن ؛ عن الحسن ؛ وسماه نوراً لأن به تتبين الأحكام ويهتدى به من الضلالة ، فهو نور مبين ،

أي واضح بَيِّن .

● وقال الخازن : وإنما سماه نوراً لأن به تتبين الأحكام كما تتبين الأشياء بالنور بعد الظلام ولأنه سبب لوقوع نور الإيمان في

القلب فسماه نوراً لهذا المعنى .

● وقال الشنقيطي : المراد بهذا النور المبين القرآن العظيم ؛ لأنه يُزيل ظلمات الجهل والشك كما يُزيل النور الحسي ظلمة

اللَّيْلِ .

• وقال ابن الجوزي: وإنما سماه نوراً، لأن الأحكام تبين به بيان الأشياء بالنور.

( فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ) فَمَنْ اهْتَدَى إِلَى هَذَا الْحَقِّ، وَعَمِلَ بِمَقْتَضَاهُ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ أَي: فَإِنَّمَا تَكُونُ مَنْفَعَةٌ هِدَايَتُهُ لِنَفْسِهِ لَا لِغَيْرِهِ .

( وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ) أَي: وَمَنْ ضَلَّ عَنْ هَذَا الْحَقِّ وَأَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا أَي: فَإِنَّمَا يَكُونُ وَبِالضَّلَالَةِ عَلَى نَفْسِهِ .

( وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ) أَي: وَمَا أَنَا مُوَكَّلٌ بِكُمْ حَتَّى تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ، وَالْهُدَايَةُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

كما قال تعالى في آيات أخرى :

( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ) .

وقال تعالى ( مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ) .

وقال تعالى ( قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ) .

وقال تعالى ( مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) .

وقال تعالى ( إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) ( ٩١ ) وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ) .

• قال الألوسي : ولا يخفى ما في هذه الآيات من الموعظة الحسنة وتسليية النبي صلى الله عليه وسلم ووعد للمؤمنين والوعيد للكافرين .

الفوائد :

١- أن الرسول وما جاء به من القرآن حق .

٢- وجوب الإيمان بالرسول .

٣- وجوب الإيمان بالقرآن .

٤- أن الله لا تضره معصية العاصين .

٥- من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه وينفعها ، ونفع ذلك راجع إليه لا إلى الله .

٦- من ضل فإنما ضلّاله على نفسه .

٧- أن مهمة الرسل والدعاء دعوة الناس إلى الناس ، وأما هدايتهم فلا يقدر عليها إلا الله .

( وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ) ( ١٠٩ ) .

[ يونس : ١٠٩ ] .

( وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ) أَي: وَاتَّبِعْ- أيها الرسول الكريم- في جميع شؤونك ما يُوحى إِلَيْكَ من ربك من تشريعات حكيمة، وآداب قويمية ، علماً ، وعملاً ، وحال ودعوة .

( وَاصْبِرْ ) عَلَى مَشَاقِ الدَّعْوَةِ وَتَكَالِيفِهَا ، فَإِنَّ هَذَا أَعْلَى أَنْوَاعِ الصَّبْرِ، وَإِنْ عَاقَبْتَهُ حَمِيدَةً، فَلَا تَكْسَلْ، وَلَا تَضْجِرْ، بَلْ دَمَّ عَلَى ذَلِكَ، وَاثْبَت .

( حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ ) بينك وبين من كذبك .

( وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ) لأنه هو العليم بالظواهر والبواطن، وهو الذي لا معقب لحكمه.

وقد امتثل ﷺ أمر ربه، وثبت على الصراط المستقيم، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان، ونصره على أعدائه بالسيف والسنان، بعد ما نصره الله عليهم، بالحجة والبرهان، فله الحمد، والثناء الحسن، كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

#### الفوائد :

١- أمر النبي ﷺ أن يتبع ما يوحى إليه .

٢- أن الله يعلم نبيه ويربيه .

٣- وجوب اتباع الكتاب والسنة ، كما قال تعالى ( اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ) .

٤- الحث على الصبر .

٥- فضل الصبر لأمر الله تعالى لنبيه بذلك .

٦- تسلية للنبي ﷺ ولكل داعية إلى الله .

٧- أنه لا بد لمن يدعو إلى الحق أن يواجهه من الناس ما يؤذيه إما بالقول وإما بالفعل .

٨- أن الصبر على أذى الخلق وتحمل ذلك من أعظم علامات التوفيق والنصر .

قال ابن تيمية وهو يتكلم عن الصبر على أذى الخلق للداعية قال رحمه الله :

النوع الثاني : أن يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه ، فهذا النوع يصعب الصبر عليه جداً، لأن النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون .

وكان نبينا ﷺ إذا أؤذي يقول: يرحم الله موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر .

وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والعز والسرور والأمن والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله ومحبة الناس له وزيادة العلم، ولهذا

قال الله تعالى ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) .

٩- تهديد لكل كافر وظالم ، بأن الله سيحكم بين الناس وسيجازي كلاً بعمله .

تمت بفضل الله

ومؤتم

سليمان محمد اللهيبيد

الإصدار: ٢٧ / ٨ / ١٤٣٩ هـ